مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٣ ، العدد ٣

المعاني الثانية التي تضمنها أسلوب الالتفات في آيات الماء النازل من السماء⁽¹⁾

أ.م.د. هناء محمود شهاب
كلية التربية / جامعة الموصل

م.م.أحمد عامر الدليمي
كلية التربية للبنات / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٦/٤/٥ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٥/١١/١٧

ملخص البحث :

أسلوب الإلتفات من أساليب البلاغة العربية المعروفة وقد كان لهذا الأسلوب البلاغي حظه الوافر في كتاب الله الخالد .وقد لوحظ بشكل لافت للنظر أن الآيات التي تنضوي تحت عنوان (الماء النازل من السماء) نالت الحظ الأوفر من هذا الفن لذا عالج البحث هذه الظاهرة الأسلوبية وتعمق في كشف عن معانيها الثانية في تلك الآيات الجليلات.

Pragmatic Meanings Including Direction Style in Falling Rain Ayat

Dr. Hnaa Mhmmod Shehab **Dr. Ahmed Amer Al-Dolaemy**
College of Education *College of Education for Girls*
University of Mosul

Abstract:

Directions style is one of the famous metaphors in Arabic , such a style is found abundantly in Holy Quran specially the Aya beginning with (the water descending from Heaven). Therefore this research deals with this stylistic phenomena and thoroughly studies the pragmatic meaning in these Holy Aya.

---

(١) بحث مستل من رسالة الماجستير (آيات الانواء الجوية في القرآن الكريم)

المقدمة :

الالتفات في اللغة:

لقد وردت هذه اللفظة في المعاجم اللغوية وكثرت مشتقاتها وكلها تدور حول معاني الإنصراف أو العدول فقد جاء في لسان العرب : "لفت وجهه عن القوم : صرفه .. وتلفت إلى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه"(١). أما أحمد بن فارس فقال : "الإلتفات هو أن تعدل بوجهك" (٢)

الإلتفات في الإصطلاح :

يعد الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) أول من أطلق على هذا الفن هذه التسمية دون أن يعرفه. (٣) وذكره ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه. (٤) ، أما المبرد (ت ٢٨٥هـ) فقد ساق لهذا الفن الشواهد من القرآن والشعر فقال : "والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب(٥)" . واستشهد على ذلك بقوله (ﷻ) (**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**)(يونس: من الآية٢٢)).

وعرف ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) الإلتفات بأنه "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ، ومن الإلتفات ، الإنصراف عن معنى يكون منه إلى معنى آخر" (٦) وعده قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) من نعوت المعاني (٧) . أما الرازي (ت ٦٠٦هـ) فعرفه بقوله : "انه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو العكس" (٨) ولم يضع السكاكي (ت ٦٢٦هـ) تعريفاً لهذا الفن إلا أنه ذكره في علم المعاني (٩) وتابعه القزويني (ت ٧٣٩هـ) في ذلك (١٠)

ويعد ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أكثر الدارسين وقوفاً عند هذا الفن إذ عرفه بقوله : "وحقيقته مأخوذة من التفاف الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة أو فعل ماض إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماض "(١١)

وعرفه العلوي (ت ٧٤٩هـ) بصورة أدق وأشمل ، فشمل جميع أنواعه إذ يقول هو : " العدول من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالف للأول ، وهذا احسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة لأن الأول يعم سائر الإلتفاتات كلها والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لاغير ، ولاشك أن الإلتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع".(١٢)

أنماط الإلتفات (١٣):

١. الإلتفات الفعلي وهو العدول عن الفعل المضارع أو الفعل الماضي إلى فعل الأمر أو العدول عن الفعل الماضي إلى المضارع ، أوعن المضارع إلى الماضي .
٢. الإلتفات العددي وهو العدول عن لفظ المفرد أو المثنى إلى الجمع أو بالعكس ، أو العدول عن لفظ المفرد إلى المثنى أو بالعكس.
٣. الإلتفات النوعي أو الضميري *

وهو أكثر الأنواع شيوعاً وقد ذكره أغلب البلاغيين وهو العدول عن التكلم إلى الخطاب وبالعكس أو العدول عن التكلم إلى الغيبة وبالعكس أو العدول عن الخطاب إلى الغيبة وبالعكس. ويندرج الإلتفات الضميري في الإلتفات النوعي لعدم إمكانية التفريق بين النوعين لأن الصيغة تشمل الضمير أيضاً.

أسلوب الإلتفات في آيات الماء النازل من السماء

كتاب الله هو نهاية البلاغة ، وهو أعلى طبقات البيان، أرفعها عماداً ، وأكثرها مداداً، ولأسلوب الإلتفات من ذلك نصيب وافر، إلا أن للالتفاف أغراضاً متعددة،ومقاصد ذات شأن .

ولقد تناولنا في بحثنا هذا ما خرج إليه فن الإلتفات من معان ثانية فيما يتعلق بآيات (الماء النازل من السماء) فكثرة الإلتفاتات في هذه الآيات تلفت الأنظار إلى تنوع المقاصد التي جاءت بها تلك الآيات مع أنها جميعاً تنتمي إلى زمرة واحدة وتنضوي تحت عنوان دقيق هو (الماء النازل من السماء) .. .. .. ومما تم تثبيته في بحثنا هذا مما خرج إليه الإلتفات معاني منها ما جاء ، بمعنى التمكين في الأرض ، فالماء سبب رئيس في حياة الأفراد والأمم ونشوء الحضارات ، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة في سورة الأنعام إذ يقول تعالى (... **مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً** ...)(الأنعام: من الآية٦) .

والمعنى الثاني مما خرج إليه الإلتفات ، تعدد أصناف الخلق إذ يقول تعالى (**فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** ...)(الأنعام: من الآية٩٩) فكان الماء النازل من السماء سبباً في إخراج أنواع الثمرات وتعدد أصنافها ، وهي النعمة العظيمة التي تفضل بها على أهل الأرض إذ جعل من الماء الواحد أصنافاً لا تعد ولا تحصى من النبات والثمرات.

وثالث تلك المعاني ؛ الزوجية في الخلق ، قال تعالى (**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**)(لقمان: من الآية١٠) فسارت تلك الآية قانوناً على أصناف الخلق كلها .. فالله تعالى قد جعل الكائنات جميعاً ومنها النباتات تتكاثر على وفق قانون الزوجية.

وجاء غرض تلقيح السحاب معنى رابعاً من المعاني التي خرج إليها الإلتفات فقال تعالى : (**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**) (فاطر:٩) وقد ورد في هذه الآية التفاتان اثنان . وآية أخرى في قوله تعالى : (**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) (الأعراف:٥٧) وقد تميزت هذه الآية عن سائر الآيات تناولها البحث وذلك لاحتوائها على ثلاثة التفاتات تناولنا شرحها في موضعها.

والمعنى الخامس من معاني هذا الفن؛ ما أشار إلى ألوان المخلوقات ونبه إلى تعدد ألوانها وذكر الغرابيب السود وميزها عن أصناف الألوان فنبه إلى حقيقة علمية مهمة اكتشفها العلماء في قرننا هذا ؛ القرن الحادي والعشرين.

ولقد وردت التفاتات مختلفة المقاصد فمنها ما نبه إلى (استخدامات الماء البشرية) ومنها ما أشار إلى (الترفيه) ومنها ما أشار إلى (إحياء الموات) ؛ جعلناها جميعاً تحت عنوان (معاني وصور أخرى).

وفي الختام ننبه إلى أن الآيات التي وردت في بحثنا هذا انتظمت كلها لأداء مهمة واحدة ورئيسة متمثلة في إبراز عظمة الله تبارك وتعالى ، مبتدأة بالتنبيه إلى الذات الإلهية وعظيم خلقه وإلفات الأنظار إلى دقيق صنعه ، وعظيم شأنه وسلطانه ، ومن ذلك ننتبه إلى شأن هذا الفن البلاغي (الإلتفات) وما يؤديه من دور في إحياء هذا الغرض وإبرازه في آيات القرآن الكريم ، نخص منها آيات الطبيعة التي تمجد عظمة الله تبارك وتعالى.

المعاني الثانية التي خرج إليها فن الإلتفات:

أولاً : التمكين في الأرض:

ليست ثمة حياة على وجه الأرض أعظم من حياة الإنسان ؛ ذلك المستخلف فيها ، (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)(البقرة: من الآية٣٠) فهي الذروة وهي التكريم والتفضيل ؛ (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**) (الاسراء:٧٠) والتغير والتجدد في حياة الإنسان مستمران منذ أول يوم نزل فيه آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، هذه الحياة بكل تفصيلاتها تبقى تدور في فلك الماء ، ويبقى أبناء آدم يحتاجون إليه ، فهو مادة الحياة ، (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**)(الانبياء: من الآية٣٠) ،فأصبح الماء سبباً رئيساً من أسباب التمكين على هذه المعمورة ، بل صار مدعاة لقيام الحضارات ، وتثبيت أركانها ، إذ أصبح وجودها وقوتها مرتبطين بوجود

الماء ، وعدمها من عدمه ؛ حتى سميت الحضارات والأمم بأسماء أنهارها ووديانها ، فهذه حضارة وادي الرافدين ، وتلك حضارة وادي النيل، نشأتا على وديان الأنهار .

يقول الله تبارك وتعالى : (**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**) (الأنعام:٦) .فالله هو خالق الكون والأقوام ، وأنه هو المحيي وهو المميت ، وأن الكون بأسره يأتمر بأمره وينتهي بنهيه.

ألم تر إلى تلكم الأقوام الغابرة التي كانت في وقت ما في مكان ما تنعم بالرخاء ، وتقبض قبضتها في الأرض بنعمة السماء ؛ فكان سر قوتهم وسطوتهم على تلكم الأرض ؛ ما أنزل الله إليهم من السماء من رزق ، فهي تنصب عليهم مدراراً معطاءة ، فسالت أودية بقدرها ، وسلك الله الماء ينابيع في الأرض ، حتى ظنوا أن الأمر عطاء وعطاء وعطاء، بيد أنه عطاء وأخذ ، ومنح وقبض ، والويل الويل لمن لم يع قانون الإله في الأخذ والعطاء ، فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين.

والمعنى : (لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والإستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها)(١٤) ولعظيم شأن هذا القانون جاء فن الإلتفات ليضع النقاط على الحروف ويبرز عظم التمكين الذي كانت تلك الأقوام تنعم به فقال تعالى : (**مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ**) فهم قد بلغوا من القوة ما قد يفوق التصور فتحول الخطاب وعدل من ضمير الغيبة إلى ضمير الحاضر (التفات ضميري)(لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولرفع الإشتباه من أول الأمر عن مرجعي الضميرين والسياق يقتضي : ما لم نمكن لهم) (١٥) . يقول صاحب التحرير والتنوير : (والخطاب في قوله (لكم) التفات موجه إلى الذين كفروا لأنهم الممكنون في الأرض وقت نزول الآية ، وليس للمسلمين يومئذ تمكين. والإلتفات عكس الإلتفات في قوله تعالى (**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم**) والمعنى أن الأمم الخالية من العرب البائدة كانوا أشد قوة وأكثر جمعاً من العرب المخاطبين بالقرآن وأعظم منهم آثار حضارة وسطوة . وحسبك أن العرب كانوا يضربون الأمثال للأمور العظيمة بأنها عادية أو ثمودية أو سبئية قال تعالى (**وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**) أي عمر الذين من قبل أهل العصر الأرض أكثر مما عمرها أهل العصر) (١٦) .

والسماء من أسماء المطر ، فقد ذكر العسقلاني في شرحه لقول زيد بن خالد : (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ، سماء أي مطر)(١٧).وهو المراد هنا لأنه المناسب لقوله (أرسلنا) بخلاف قوله تعالى (**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاء**) . (والمدرار صيغة مبالغة ، ووصف المطر بالمدرار مجاز عقلي، وإنما المدرار سحابه ...

والمراد إرسال المطر في أوقات الحاجة إليه بحيث كان لا يخلفهم في مواسم نزوله . ومن لوازم ذلك كثرة الأنهار والأودية بكثرة انفجار العيون من سعة ري طبقات الأرض ...) (١٨) .

ثانياً. تعدد أصناف الخلق :

الماء عنصر رئيس يدخل في تكوين مفردات المناخ كلها ، فعبر الغلاف الجوي يتحرك الماء أبخرة وسحابا ومتساقطات بأشكال مختلفة من أمطار وثلوج وبرد ، وهذا ما دعا الباحثين في مجال الأنواء إلى الإعتقاد بأن الماء هو المتحكم الرئيس في الحياة ومسيرتها على كوكب الأرض، وهو السبب في تنوع أفرادها ، وإختلاف ألوانها ، وطراز الحياة فيها ، قال تعالى :(**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ**)(الرعد: من الآية٤) .

وللماء دور فاعل في تكوين وتحوير وتشكيل سطح الأرض من سهول وهضاب ووديان وجبال ، وهذا ينعكس بالطبع على خلق بيئات حياتية متباينة حسب تباين كميات السواقط كما وموسماً وما يصاحب هذا التساقطمن اختلاف في درجات الحرارة وتوزيعها الجغرافي على الكرة الأرضية . قال تعالى :(**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) (الأنعام:٩٩) .

فالآية الكريمة تشد الأذهان إلى نعمة الله في تنوع خلقه على كوكب الأرض من إنسان وحيوان ونبات وكائنات أخرى ، فالكل يحيا بالماء والكل يموت بفقده ، والآية الكريمة تلفت الأنظار إلى الأصناف الكثيرة من أنواع النبات التي تسقى جميعها بماء واحد ! فالسبب واحد والصنوف كثيرة (١٩) ، فحصل الإلتفات في قوله تعالى (**فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**) (حيث التفت إلى المتكلم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله ، وذكر بعضهم نكتة خاصة لهذا الإلتفات (النوعي والضميري)غير ما ذكر وهي أنه سبحانه لما ذكر فيما مضى ما ينبهك على أنه الخالق اقتضى ذلك التوجه إليه حتى يخاطب،واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلم وحده لإظهار كمال العناية، أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء)(٢٠) .

ومما ذكره صاحب الصفوة قوله (فيه التفات عن الغيبة والأصل فأخرج به والنكتة هي الإعتناء بشأن المخرج والإشارة إلى أن نعمه عظيمة) (٢١).

ثالثاً. الزوجية في الخلق:

لقد سبق القرآن العلم إذ دل في مواضع عديدة على ثنائية الكائنات والزوجية في الخلق فقال تعالى (**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) وهو خبر يشمل مفردات الكون كلها فهي ذكر أو أنثى وهي سالب أو موجب هكذا عبر عنها العلم أخيراً بالتقابل . ويعبر ابن عربي عن هذه الزوجية أفضل تعبير إذ يقول (٢٢):

وكلُ شيء من الأكوان نعلمه موحداً هو في القرآن مزدوجُ
فليس يوجد فرد ليس يشفعه شيءٌ سوى من له التقسيم والدرَجُ

قال تعالى : (**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**) (لقمان:١٠)

في الاية الكريمة التفات في قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا) ونكتة هذا الإلتفات الضميري تنبيه إلى حقيقة علمية غاية في الأهمية مفادها أن الله تعالى قد جعل الكائنات الحية جميعاً تتحرك وتتكاثر على وفق قانون الزوجية من جهة ، وأن الله جعل من كل شيء حي من الجهة الأخرى .. فهذان قانونان أشار إليهما الإلتفات اللطيف في الآية الكريمة مؤكداً بأن الإخلال بأحدهما يعنى الإخلال بهما معاً ومن ثم بالحياة نفسها.

يقول صاحب التحرير والتنوير: (والإلتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله (وَأَنْزَلْنَا) للإهتمام بهذه النعمة التي هي أكثر دوراناً عند الناس) (٢٣).

ويذكر صاحب الصفوة قائلاً (الإلتفات من الغيبة إلى التكلم (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ) بعد قوله : (خلق ، وألقى ، وبث) وكلها بضمير الغائب ، ثم التفت فقال : (وَأَنْزَلْنَا) تعظيماً لشأن الرحمن وتوفية لمقام الإمتنان ، وهذا من المحسنات البديعية) (٢٤).

ويعلق الفخر الرازي في التفسير الكبير على الإلتفات (النوعي والضميري) في الآية بقوله : (والعدول من المغايبة إلى النفس فيه فصاحة وحكمة ، أما الفصاحة فهي أن السامع إذا سمع كلاماً طويلاً من نمط واحد ، ثم ورد عليه نمط آخر يستطيبه .. ، وأما الحكمة فهو أن إنزال الماء نعمة ظاهرة متكررة في كل زمان ، متكثرة في كل مكان ، فأسنده إلى نفسه صريحاً ليتنبه الإنسان لشكر نعمته فيزيد له من رحمته) (٢٥).

وجاء معنى الزوجية في الخلق في آية أخرى من كتاب الله تعالى إذ يقول جل شأنه (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**) (طه:٥٣)، فقد نبهت الآية الكريمة إلى ما نبهت إليه أختها وسالفتها من الإشارة إلى مسألة الأزواج ، فالنبات حاله كحال ما سواه من الكائنات ينشأ وفق قانون التزاوج الذي يحكم قانون التكاثر ، فلكل صنف من أصناف النبات زوج ؛ ذكر وأنثى ،فكان حرياً الفات النظر إلى

هذه المسألة العلمية التي وضعها الله قانوناً لكائنات الأرض جميعاً منذ أن خلق الإله الأرض ومن عليها .

ونبه صاحب تفسير المنار إلى حكمة هذا الإلتفات بقوله (فحكمة الإلتفات أن تلتفت الأذهان إلى ما يعقب ذلك من البيان فتنتبه إلى أن هذا الإخراج البديع والصنع السنيع ، من فعل الحكيم الخلاق لا من فلتات المصادفة والإتفاق ، ولما كان الماء واحدا والنبات جمعا كثيرا ناسب إفراد الفعل الأول وجمع الفعل الآخر ، ومعلوم أن الواحد إذا قال فعلنا أراد إفادة تعظيم نفسه ، إذا كان مقامه أهلاً لذلك) (٢٦).

رابعاً. تلقيح السحاب:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز :(**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...**)(الحجر: من الآية٢٢) ذهب بعض المفسرين في تفسير الآية الكريمة (**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**) إلى أن الرياح تحمل اللقاح من شجرة إلى أخرى ومن زهرة إلى زهرة ليحدث التلقيح والتكاثر، ومن المؤكد فإن هذه حقيقة علمية لا يختلف فيها إثنان ، بيد أن سياق الآية هنا يراد فيه تلقيح السحاب ، وإلى هذا ذهب عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) إذ يقول (يرسل الله الرياح لتلقيح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر به فتدر كما تدر الملقحة). (٢٧)

فالله تعالى يرسل الرياح الحاملة لذرات الغبار أو ما ينوب عنها من ذرات الأملاح التي تعمل عمل حبيبات اللقاح حال اختراقها السحابة ؛ فتتلقح السحب بذرات الغبار(٢٨).

وفي آية أخرى يقول الله تبارك وتعالى (**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**) (فاطر:٩) .

وهذه الآية مقصد بحثنا فقد ورد فيها التفاتان اثنان ، فهي تنبه إلى عظمة الله في خلقه وقدرته على التحكم في الأسباب والمسببات على حد سواء ، وتؤدي في تكوينها وتشكيلها ، وهي تلفت الأنظار ، وتنبه العقول إلى عظمة الله في تحريك ونقل وسوق هذه السحب إلى حيث يحتاجها الخلق (**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ**)(الأعراف: من الآية٥٧) إلى حيث الجفاف وقلة الماء فيحيي به الأرض بعد موتها. وكما أشرنا سالفاً ففي الآية التفاتان:

الأول: إذ أخبر فعل مضارع عن الماضي ، فقال (**فَتُثِيرُ**) مضارع ، وما قبله وما بعده ماض، ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الربانية ، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية ، بحال تستغرب أو تهم المخاطب ، أو غير ذلك(٢٩).

قال ابن الأثير : (أعلم أن الفعل المستقبل إذا اتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الأخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصور حتى كأن السامع يشاهدها) (٣٠).

وكثيراً ما يعبر بالمضارع لإستحضار الصورة كأنما هي مرئية رأي العين وهذا أكثر تأثيراً في النفس ، فلم يقل فأثارت ، وذلك لاستحضار صورة الريح وهي تثير في هذا السحاب الذي ينزل منه المطر (٣١) .

الثاني في قوله تعالى: **(فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّت)** ولو جرى على نمط الكلام لقال سقى وأحيا ، ولكنه عدل بهما عن لفظ الغيبة إلى لفظ التكلم، وهو أدخل في الإختصاص وأدل عليه، وإنما عبر بالماضيين بعد المضارع للدلالة على التحقق (٣٢).

وقد أشار الى ذلك ابن عاشور إذ يقول : (وفي قوله (فَسُقْنَاهُ) بعد قوله (وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) التفات من الغيبة إلى التكلم) (٣٣).

وهذا القول ينطبق على قوله تعالى **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** (الأعراف:٥٧) فعدل بقوله تعالى **(سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ)** من لفظ الغيبة إلى لفظ التكلم ، وقد جاء التعبير مختلفاً بين الآيتين ، ففي سورة فاطر قال تعالى **(فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّت)** أما في سورة الأعراف فقال تعالى **(سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ)** ، ففي الأولى دخلت (الفاء السببية) قبل موضع الإلتفات في قوله (فَسُقْنَاهُ) ، أما في الثانية فلم تدخل . وفي الأولى جاء حرف الجر (إلى) بعد موضع الإلتفات (فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّت) وفي الثانية جاء (حرف اللام) في (سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ) وقد يكون في هذا إشارة إلى قرب الحدث في قوله تعالى (سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ) وأنه مدعاة للإعتبار بإحياء الأرض بعد موتها.

ولم تكتف الآية الثانية (آية الأعراف) بهذا الإلتفات وهذه الإشارات البلاغية واللغوية ، بل اتبعت ذلك بالتفات آخر ، قال تعالى **(فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** فقد عدل عن الماضي في قوله (فَأَخْرَجْنَا) إلى المضارع في قوله (نُخْرِجُ) وفيه تنبيه ومبالغة في الإهتمام بمسألة إحياء الموتى يوم القيامة ، ويمكن أن نطلق على هذا النوع من الإلتفات بالإلتفات المقلوب ، إذ أنه التفات مقلوب عن التفات سبقه في الآية نفسها عدل فيه عن الحاضر في قوله (يُرْسِلُ) إلى الماضي قوله (سُقْنَاهُ) . وهكذا فقد حصل في آية الأعراف ثلاثة التفاتات ، هي على الترتيب:

أولاً. الإلتفات من الحاضر في قوله (يُرْسِلُ) إلى الماضي في قوله (سُقْنَاهُ) ، وفي الضمير (هو) إلى (نا) المتكلمين.

ثانياً. الإلتفات من لفظ الغيبة في قوله (وهو) إلى لفظ المتكلم في قوله (سُقْنَاهُ) .

ثالثاً. الإلتفات المقلوب عن الأول ؛ إذ التفت من الماضي في قوله (فَأَخْرَجْنَا) إلى المضارع في قوله (نُخْرِجُ) .

مع ملاحظة أنه لم يتم الإشارة إلى هذه الإلتفاتات الثلاثة في الآية الكريمة في واحد من المصادر والمراجع التي اعتمدت في البحث.

خامساً. ألوان المخلوقات :

وأما الحديث حول آية الألوان في القرآن ؛ فمقامه علي ، وشأنه عظيم ، فهي الآية الجامعة الشاملة التي تناولت مستويات عديدة من علم وفن وطبيعة ومخلوقات وغيرها ؛ تناولتها جميعاً ضمن تناسق عجيب ومن خلال بيان فذ ولغة سامية لا يرقى إلى مثلها بشر قطعاً.

ونقصد بآية الألوان قوله تعالى **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)** (فاطر:٢٧ –٢٨) ففي الآية الكريمة من حقائق العلوم ما يعجز العلماء عن كشف أسرارها وبيان أبعادها .. وتعديد مقاصدها وأغراضها ، حتى أن الآية الكريمة ختمت بكلمات قليلة شغلت البلاغيين والنحاة ، وباتت موضعاً للإستشهاد فقال تعالى : **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)** أي : العلماء أشد خشية لله تبارك وتعالى ، وفي مضمونها دلالة صريحة إلى حجم الإشارات العلمية التي تتضمنها الآية الكريمة ، وهذه الإشارات جميعها تعبر في الحصيلة النهائية عن عظمة الخالق تبارك وتعالى وقدرته في الخلق ، وفق قوانين وقواعد مقدرة لا تقبل الخطأ ولا تسمح بالتغيير ، قال تعالى : **(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)** فسار الكون وفق قانون واحد خاضع لإرادة واحدة هي إرادة الله وحده ، فالله أنزل من السماء ماء ، فالله جعل فيه صفة الأحياء فأحيا به الأرض وسقى منه الأنعام والإنسان ، وأخرج الله به ثمرات مختلفاً ألوانها ، وجعل الألوان وجعل الأسود ، وجعل الناس مختلفة ألوانها ، وجعل الدواب والأنعام مختلفة ألوانها. وفوق هذا وذاك أنه جعل كل أولئك من الأحياء يعيشون على هذه الأرض على وفق قانون واحد ، فاستخدمت الآية أداة التشبيه (كَذَلِكَ) فكلهم يختلفون ويتلونون وفق نظام واحد . وهنا ولأهمية الأمر (فقد التفت عن الغيبة إلى التكلم ، لإظهار كمال الإعتناء بالفعل ، لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة) (٣٤).

كما أن في الآية إشارة إلى العلاقة القائمة بين الماء الواحد – عديم اللون في أصل خلقته – والثمرات المختلف ألوانها ، وهذه العلاقة تسري نفسها على ماء واحد – عديم اللون –

وأرض مختلف ألوانها هي الأخرى ؛ إذ أن تقدير الكلام : أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، وأخرجنا به من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها كاختلاف الوان الثمرات ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك أي : كإختلاف الوان الثمرات وجدد الجبال ، فمن الناس الأبيض والأحمر ، وكذلك فمنهم الأسود .

وإن ألوان الثمرات وألوان الناس والدواب والأنعام موجودة في أصل الخلقة تنتقل من الآباء إلى الأبناء فلا فضل لماء السماء عليها بشيء إلا أنه كان سبباً في إخراجها وفي إستمرار الحياة فيها .

الغرابيب السود :

واحدة من بين تلك الحقائق العلمية التي أشارت إليها الآية الكريمة : الغرابيب السود ، واللافت للإنتباه فيها أن الآية الكريمة قد ميزتها عن الألوان المذكورة (الأبيض والأحمر) ، بل أخرجتها عن زمرة الألوان لمنع توهم البشر من كونها تتمتع بلون يميزها عن سائر الألوان فقال تعالى (**جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**).

ويعود السبب في ذلك إلى ما اكتشفه العلم الحديث من أن الأجسام السود هي في الحقيقة أجسام معتمة لا لون لها فالجسم الأسود – كما عرفه علماء الفيزياء – هو ذلك الجسم الذي يمتص الأشعة الساقطة عليه ، بمعنى آخر فإنه يمتص كل ألوان الطيف الشمسي ولا يعكس أي لون منها فيظهر معتماً(٣٥) . وهكذا نجد أن الآية الكريمة قد ميزت بين الألوان المختلفة في قوله تعالى (**جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا**) من جهة و (**وَغَرَابِيبُ سُودٌ**) من جهة أخرى بكونها أجساماً معتمة لا لون لها.

فضلاً عن ذلك وزيادة في التأكيد فقد جاء (الأسود) مقروناً (بالغرابيب)، (والغرابيب: جمع غربيب ، والغربيب الشديد السواد وكثيراً ما يجيء تأكيداً) (٣٦)

يقول صاحب التحرير والتنوير (والغرابيب يدل على أشد من معنى أسود فكان مقتضى الظاهر أن يكون غرابيب متأخراً عن (سود) لأن الغالب أنهم يقولون: أسود غربيب، كما يقولون أبيض يقق ، وأصفر فاقع وأحمر قانٍ ، ولا يقولون غربيب أسود) (٣٧) . وهذا يعني أن تقديم (غرابيب) على (سود) فيه توكيد على أنه حالك السواد مما يؤكد أن هذه الأجسام تعد أجساماً معتمة تماماً فهي مثالية في سوادها وعتمتها، لذلك فهي مثالية أيضاً في امتصاصها للضوء فلا تعكس أي لون ساقط عليها فهي أجسام معتمة تماماً ولا لون لها.

وإن لمن المفارقات العلمية ما نشرته جريدة الصدى الإماراتية في عددها (٢١٦) الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٨ خبراً علمياً تحت عنوان (الأسود المطلق) جاء فيه (أن فريقاً من العلماء في مختبر الفيزياء الوطني في إنكلترا توصلوا إلى لون جديد ، أطلقوا عليه اسم (السوبر أسود)

وهو لون مغرق في سواده) وأكد الخبراء أهمية ذلك في علم البصريات إذ سيتم استخدام هذه التقنية في صنع الفوهات الميكروسكوبية فضلاً عن استخدامها في علوم الفضاء والطيران .

هذا ما اكتشفه العلماء البريطانيون في القرن الحادي والعشرين قد أشار إليه القرآن الكريم ولفت الأنظار إليه قبل أكثر من ألف واربعمائة عام . وفوق هذا فإن الآية الكريمة تصحح خطأ علمياً وقعت فيه مجلة (الصدى) في عرضها للخبر حينما عدّت (السوبر أسود)لوناً من الألوان.

هذا الإكتشاف العلمي لحقيقة علمية من حقائق كثيرة حوتها الآية الكريمة تجعلنا نعي أهمية المعاني البلاغية والأسلوب البياني الذي تمتعت به تلك الآية ، حالها في ذلك كحال سائر آيات القرآن ، ونحن إذ نبحث في موضوع الإلتفات نؤكد المهمة التي حققها البحث في تنبيه القراء للآية الكريمة وإلفات أنظارهم إلى تلك الإشارة العلمية وإلى إشارات غيرها.

خضرة الأرض :

قال تعالى (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**) (الحج:٦٣) فقد صورت الآية مشهداً آخر من أروع مشاهد القدرة الإلهية في الخلق ، فالأرض الهامدة ، الجرداء القاحلة التي لا حياة فيها فهي يابسة مجدبة قد أخذ الشح منها مأخذه فبدت صفراء شاحبة وإذا برحمة الله تعيد رسم الصورة من جديد لتعطي للحياة روحها وللأشكال والموجودات ألوانها ، (فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً).

وهنا نلحظ(العدول عن الماضي إلى المضارع لإفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان... أو لإستحضار الصورة البديعة)(٣٨).

فالنكتة البلاغية إذن تتمثل في كون إنزال المطر يعقبه إخضرار الأرض وبقاؤها زمانا بعد زمان لاتزول ولاتختفي فأثر المطر الساقط من السماء باق في جميع الأوقات ، وهذا ما أثارته كلمة (فَتُصْبِحُ)(٣٩).

معاني وأغراض أخرى:

١. استخدامات بشرية :

قال تعالى (**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ۞لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً**) (الفرقان:٤٨-٤٩) ففي الآية التفات من الغيبة إلى المتكلم للتعظيم (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ) بعد قوله (أرسل الرياح)(٤٠). ولقد جاء الإلتفات إلى المتكلم لإلفات النظر إلى أهمية الماء الطهور فهو من أعظم نعم الله على بني البشر . والطهور البليغ في طهارته ويعضد هذا المعنى قوله تعالى (**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ**) ولولا الماء النازل من السماء لفسد الماء على سطح الأرض ولفسدت الحياة تبعاً لذلك.

٢. الترفيه :

قال تعالى (**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**) (النمل:٦٠) . وقد تكون هذه الآية هي الموضع الوحيد من آيات المياه الذي أشار فيها القرآن الكريم إلى الترفه في الحياة الدنيا ، وجعل الماء النازل من السماء سبباً مباشراً لتلك البهجة . أما مياه الآخرة فقد حضيت بمساحة واسعة من آيات المياه في القرآن الكريم ليشير من خلال ذلك إلى الترفه والسعادة الأبدية التي سيتمتع بها أهل الجنة . فهم في نعيم مقيم ، وهم في جنات ونهر ، وهم في جنات وعيون ، قال تعالى (**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) فهي هي دار الخلود.

ولقد حدث الإلتفات في آية النمل من الغيبة إلى التكلم لإلفات النظر إلى جمال تلك الحدائق التي تبعث على البهجة والسرور وكأنك تعيش في جنان الآخرة.

جدول يبين آيات الماء النازل من السماء ، ونوع الإلتفات في كل منها

السورة	الآية	النص	النوع
الأنعام	٦	(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجعَلْنَا الْأَنْهَار .. ..)	من الغيبة إلى المخاطب نوعي وضميري
الأنعام	٩٩	(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
الأنعام	٩٩	(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً)	من الماضي إلى الحاضر فعلي (زمني)
لقمان	١٠	(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
طه	٥٣	(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
فاطر	٩	(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
فاطر	٩	(.. أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ..)	من الماضي إلى الحاضر فعلي (زمني)
الأعراف	٥٧	(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
الأعراف	٥٧	(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ)	من الحاضر إلى الماضي نوعي وضميري
الأعراف	٥٧	(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً)	من الماضي إلى الحاضر نوعي وضميري

السورة	الآية	النص	النوع
فاطر	٢٧-٢٨	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
الفرقان	٤٨-٤٩	(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
الفرقان	٤٨-٤٩	(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ۞?????)	من الماضي إلى الحاضر فعلي (زمني)
النمل	٦٠	(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَة)	من الغيبة إلى التكلم نوعي وضميري
الحج	٦٣	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً)	من الماضي إلى الحاضر فعلي (زمني)

الخاتمة:

وآخر الكلام ؛ ليس لنا سوى الإقرار بمضمون فن الإلتفات وأهميته كأحد موضوعات البلاغة البيانية ، كما أننا لا نجد أسلم من أن نقف على نتائج هذا البحث ، نستنبط منها بعضاً مما يمكن تثبيته كنتائج ترفد في الحصيلة النهائية مصلحة الموضوع لنرقى به عن مستوى التقليد والجمود ، وننهض به نحو الإبتكار والتجديد . ومن نتائج هذا البحث ما يأتي :

أولاً. من خلال استقصائنا وبحثنا عن فن الإلتفات في آيات المياه في القرآن تنبهنا إلى تركز هذا الغرض في آيات (الماء النازل من السماء) بشكل واضح وجلي مقارنة بالآيات ذوات الأغراض الأخرى كماء البحار وماء النهار .. مما دعانا إلى إفراد البحث وتخصيصه بآيات (الماء النازل من السماء) دون سواها.

ثانياً. كانت حصيلة فن الإلتفات في آيات (الماء النازل من السماء) عشر تناولت موضوعات مختلفة وخرجت إلى معاني عديدة ، إذ تم الوقوف على خمسة منها خرج إليها الإلتفات أهمها : التمكين في الأرض ، تنوع الخلق ، زوجية الخلق ، إرسال الرياح وتلقيح السحاب ، ألوان المخلوقات ، فضلاً عن معانٍ وأغراض أخرى .

ثالثاً. الوقوف على أكثر من التفات في بعض الآيات القرآنية ، وأفضل مثال على ذلك (سورة الأعراف / آية : ٥٧) إذ تم تسجيل ثلاثة إلتفاتات في هذه الآية الكريمة ، وسجل في (سورة فاطر / آية: ٩) التفاتان اثنان .

رابعاً. بعد استقراء آيات الإلتفات موضوع البحث تنبهنا إلى قاعدة عامة وثابتة يقوم عليها فن الإلتفات مفادها أن مقومات هذا الفن ترتكز إلى عنصرين رئيسين هما :

١. مقدمة الإلتفات : وهو الخطاب المهيء لغرض الإلتفات ومقصده ، والذي سيأتي بعد المقدمة مباشرة .

٢. مقصد الإلتفات : وهو الغرض الذي مهدت له المقدمة ، وتركز فيه غرض الالتفات ، فهو العنصر الرئيس في هذا الفن ، وهو ينقسم إلى قسمين :

أ. مركز الالتفات : وهو الكلمة أو العبارة التي حدث فيها الالتفات ، وهو جوهر الفن بأسره.

ب. تكملة : وهي العبارة المكملة لغرض الالتفات ، الموضحة له.

ولنا أن نأخذ مثالا تطبيقياً يوضح ذلك :

قال تعالى (**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**)

مركز الالتفات   تكملة

مقدمة الالتفات   مقصد الالتفات

خامساً. أشرنا في النقطة (ثالثاً) إلى الوقوف على ثلاثة التفاتات في (سورة الأعراف / آية : ٥٧) وهي على الترتيب كما يأتي :

١. التفات من الحاضر إلى الماضي . في قوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ**).
٢. التفات من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم في قوله تعالى(**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ .. .. فَسُقْنَاهُ لبَلَدٍ مَيِّتٍ**). ومن ثم فهي من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم.
٣. التفات من الماضي إلى الحاضر في قوله تعالى(**فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً**).

ولقد رأينا أنه من الدقة بمكان أن نطلق على الإلتفات الثالث اسم : (الإلتفات المقلوب) لمجيئه على عكس الالتفات الأول ، إذ التفت في الأول من الحاضر إلى الماضي وفي الثاني من الماضي إلى الحاضر .

سادساً. من خلال الجدول الذي يمثل قائمة بآيات الماء النازل من السماء مع نوعية الإلتفاتات فيها ؛ ظهر لنا أن جميع هذه الآيات فيها التفات من (الغيبة إلى التكلم) (نوعي وضميري) ، والآيات التي فيها التفاتان فإن الثاني من نوع الإلتفات (من الماضي إلى الحاضر) ، وهذا سار قاعدة على الآيات جميعاً موضوع البحث . إلا ماورد في (سورة الحج / آية :٦٣) فقد احتوت على التفات واحد (من الماضي إلى الحاضر).

سابعاً. طغى الإلتفات (النوعي والضميري) على آيات الماء النازل من السماء ، أما الإلتفات العددي فلم يرد في هذه الآيات الكريمات.

المصادر والمراجع:

١. أسرار المطر ، أحمد عامر الدليمي ، مطبعة الزهراء ، الموصل – العراق ، ٢٠٠٠ .
٢. الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٨م.
٣. البديع ، عبد الله بن المعتز ، منشورات دار الحكمة ، دمشق د . ت .
٤. البلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط٤ ، إربد – الأردن ، ١٩٩٧.
٥. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة ، ط٣ ، ١٩٨١ م.
٦. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤.
٧. تفسير الخازن ، علاء الدين بن محمد البغدادي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
٨. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٤٨.
٩. تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعارف ، بيروت – لبنان ، ط٢.
١٠. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي ، مطبعة النهضة،قم – إيران، ١٩٩٠.
١١. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٠.
١٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، علي بن حمزة العلوي ، القاهرة ، ١٩١٤م.
١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط٢ ، مصر ، ١٩٦٣م.
١٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.
١٥. فن الإلتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان ، رسالة ماجستير، جامعة الموصل– العراق ، ١٩٨٨.
١٦. الكامل في اللغة ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، د . ت.
١٧. لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، مصر ، د . ت.
١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط١ ، ١٩٦٠.

١٩. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢٠. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية ، استنبول – تركيا.

٢١. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، ط١ ، ١٩٨٠م.

٢٢. من إشارات العلوم في القرآن الكريم ، عبد العزيز سيد الأهل ، دار النهضة الحديثة ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٢.

٢٣. موسوعة المعرفة ، مجموعة من الإستشاريين ، لبنان ١٩٧١م.

٢٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، توزيع مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠م.

٢٥. نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ١٩٤٨م.

٢٦. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، أبو بكر الرازي ، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات أبو علي ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٥م.

الهوامش

١. ابن منظور ، مادة لفت.
٢. معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٢٥٨.
٣. العمدة ، ابن رشيق القيرواني : ٢ / ٤٦.
٤. تأويل مشكل القرآن : ٨٩،٢٩٠.
٥. الكامل : ٣ / ٢٢-٢٣.
٦. البديع : ٥٨.
٧. نقد الشعر : ١٦٧.
٨. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ١١٢.
٩. مفتاح العلوم : ٨٦.
١٠. الإيضاح : ٥٧.
١١. المثل السائر : ٢/ ١٧١ .
١٢. الطراز : ٢ / ١٣٢.
١٣. فن الإلتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص١١.
* لا نستطيع أن نفرق بين النوعي والضميري لأن الصيغة تشمل الضمير أيضاً.
١٤. تفسير الكشاف ، الزمخشري ، ٦٩٤/١.
١٥. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي ، مج ٤، ٨٦/٧ .
١٦. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ٧ /١٣٨.
١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ٦٦٤/٢.
١٨. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ٧ /١٣٩.
١٩. ينظر : تفسير الكشاف ، الزمخشري ، ٥١٩/١.
٢٠. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي ، مج ٤ ، ٢٣٥/٧.
٢١. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ٢٨٢/١.
٢٢. من إشارات العلوم في القرآن الكريم ، عبد العزيز سيد الأهل ، ٤١.
٢٣. تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٤٦/٢١.
٢٤. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ٣٣٤/٢ ، وينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ٢١٦/١٥.

٢٥. التفسير الكبير بتصرف ، الرازي ، ٢٥/١٣٤-١٤٤.
٢٦. تفسير المنار ، رشيد رضا ، ٧/٦٤٤.
٢٧. تفسير الخازن ، البغدادي ، ٣/٩٣.
٢٨. أسرار المطر ، أحمد عامر الدليمي ، ١٧.
٢٩. الكشاف ، الزمخشري ، ٢/٥٧١؛ التبيان في البيان ، الطيبي ، ٧١.
٣٠. المثل السائر ، ابن الأثير ، ٢ /١٨٥.
٣١. البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، ١/٣٥٢.
٣٢. الجدول في إعراب القرآن وصرف وبيانه ، محمود صافي ، مج ١١ ، ٢٢ / ٢٥٥.
٣٣. تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٢٢ / ٢٦٨.
٣٤. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي ، مج ١١ ، ٢٢/٢٧٠.
٣٥. موسوعة المعرفة / مجموعة من الإستشاريين ، مج ٢، ، ٢٥٤-٢٥٥.
٣٦. المعجم الوسيط ، ٢/٦٤٨.
٣٧. تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٢٢/٣٠٣.
٣٨. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي ، مج ٥٩، ١٧/١٤٠ مع ملاحظة أنها عبارة الزمخشري في الكشاف في ٢ /٣٥٣.
٣٩. فن الالتفات في اللغة العربية ، قاسم فتحي سليمان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ص ٣١.
٤٠. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ٢ /٢٥١.